(٩٧) الإمام الباقر[١]

ذكر الإمام محمد الباقر عليه الرحمة:

حجَّةُ أهل المعاملة، برهانُ أرباب المُشاهدة، الإمام من ذرية النبي ﷺ، المُنتجبُ من أحفاد عليّ، صاحبُ الباطن والظاهر، أبو جعفر محمد الباقر رضي الله عنه.

لمّا كانت هذه الطائفة قد بدأت من جعفر الصادق، وهو من أبناء المصطفى عليه الصلاة والسلام، فإنَّ ختامَها أيضًا هو بهم.

قيل: إنَّ كنيته كانت أبا عبد الله، ولُقّب بالباقر، وكان مختصًّا بدقائق العلوم ولطائف الإشارات.

وله كراماتٌ مشهورة بالآيات الباهرة، والبراهين الزاهرة.

ورُوي أنّه قال في تفسير قوله تعالى ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]: إنّ ما يمنعك من النظر إلى الحقِّ هو الطاغوت، فانظرْ إلى أيِّ

---

(١) هو الإمام محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وترجمته في: طبقات ابن سعد ٥/ ٣٢٠، تاريخ خليفة ٣٤٩، طبقات خليفة ٢٥٥، التاريخ الكبير ١/ ١٨٣، المعارف ٢١٥، الجرح والتعديل ٨/ ٢٦، الثقات لابن حبان ٥/ ٣٤٨، حلية الأولياء ٣/ ١٨٠، طبقات الفقهاء ٦٤، صفة الصفوة ٢/ ١٠٨، المختار من مناقب الأخيار ٤/ ٤٠٩، تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٨٧، مختصر تاريخ دمشق ٢٣/ ٧٧، تهذيب الكمال ٢٦/ ١٣٦، سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٠١، تذكرة الحفاظ ١/ ١١٧، تاريخ الإسلام ٤/ ٢٩٩، العبر ١/ ١٤٢، الوافي بالوفيات ٤/ ١٠٢، البداية والنهاية ٩/ ٣٠٩، تهذيب التهذيب ٩/ ٣٥٠، طبقات الشعراني ١/ ٣٢، طبقات الحفاظ ٤٩، طبقات الصوفية للمناوي ١/ ٤٤٠، شذرات الذهب ١/ ١٤٩.

وترجمته في الأصل الفارسي برقم (٩٧) وهي آخر التراجم فيه، وقبلها ترجمة أبي الفضل بن الحسن.

محجوبٍ تخلّفتَ عنه بذلك الحجاب، وبادر إلى ترك ذلك الحجاب لتبلغ الكشفَ الأبدي، وينكشفَ المحجوبُ، ولا ينبغي لممنوعٍ أن يكون وسيلةً للقرب.

رُوي أنَّ أحدَ خواصِّه سُئل: كيف يقضي الإمامُ الليلَ؟ فقال: عندما ينقضي شطرٌ من الليل، ويفرُغُ من الأوراد يقول بصوتٍ عالٍ: إلهي وسيدي، حلَّ الليل، وانتهت ولايةُ تصرُّف الملوك، وظهرتِ النجوم، ونامتِ الخلائق، وسكنتْ أصواتُ الناس، وأضمروا رغباتهم، وغلّقوا الأبواب، ووضعوا عليها الحرّاس، ومن كان لهم لديه حاجة تركوه. فيا إلهي، أنت حيٌّ قيّوم مُطَّلع، لا تأخذك سنةٌ ولا نوم، ومن لا يعرفُكَ بهذه الصفة لا يقرُّ بأيَّةِ نعمة. وأنت الربُّ الذي لا يردُّ السائلين إذا ما دعاه أحدٌ من المؤمنين. إلهي، حين أذكرُ الموتَ والقبر والحساب كيف أطلبُ من الدنيا منفعةً من بعدك؟ لأنّني أعرفُكَ وأبحث عنك، لأنّني أطلبُ منك الراحةَ عند الموت السهل، والحياةَ في حال الحساب بلا عقاب.

فكان يقول هذا ويبكي إلى أن سأله واحدٌ يومًا: يا سيدي، ما أكثر ما تكرِّرُ ذلك!؟ فأجابه: يا صاحبي، لقد فقد يعقوبُ يوسفًا واحدًا فبكى حتى ابيضَّتْ عيناه، وأنا فقدتُ عشرة من أجدادي ـ أي الحسين وآله ـ في كربلاء، فإنّ أقلَّ ما يُمكن هو أن أبيّض عينيَّ لفراقهم.

وإن هذه المناجاة هي باللغة العربية، وفي غاية الفصاحة، لكنَّنا آثرنا إيرادَ معانيها باللغة الفارسية بغيةَ عدم الإطالة والتكرار. وقد أوردناها في خاتمة الكتاب تبرُّكًا.

قال هذا وأسلم الروح للحقِّ، رضي الله عنه وعن أسلافه، وحشرنا مع أجداده ومعه. آمين يارب العالمين، وصلّى الله على خيرِ خلقه وآله آجمعين، ونجّنا برحمتك يا أرحمَ الراحمين.

* * *